﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧﴾ [النحل: 116 - 117]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

الانتقالُ مِنْ ذِكْرِ المُحَرَّماتِ إلى ذِكْرِ افتراء المشركين لتحليلها

مناسبة الآية لِما قبلها أنَّهُ تعالى "لَمّا حَصَر المُحَرَّماتِ في تلك الأربع بالَغ في تأكيد ذلك الحصر، وزيَّف طريقة الكفّار في الزّيادة على هذه الأربع، وفي النُّقْصانِ عنها أخرى، فإنَّهُم كانوا يُحرِّمون البَحيرَةَ والسّائِبَةَ والوَصيلَةَ والحامَ، وكانوا يقولون ما في بطون هذه الأنْعامِ خالِصَةٌ لذكورنا ومُحَرَّمٌ على أزواجنا.

فقد زادوا في المُحَرَّماتِ، وزادوا أيضًا في المُحَلَّلاتِ؛ وذلك لِأَنَّهُم حلَّلوا الميتة والدَّم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير اللّه تعالى، فاللّه تعالى بيَّن أنَّ المحرَّمات هي هذه الأربعة، وبيَّن أنَّ الأشياء التي يقولون إنَّ هذا حَلالٌ وهذا حَرامٌ كَذِبٌ وافتراء على اللّه تعالى، ثم ذكَر الوعيد الشَّديد على هذا الكَذِبِ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَصِفُ﴾: أصلُ (وَصَفَ): أَصْلٌ واحِدٌ، هوَ تَحْلِيَةُ الشَّيْءِ، ووَصَفْتُهُ أَصِفُهُ وَصْفًا، أي: حلَّيْتُهُ، والصِّفةُ: الحلية، والصِّفَةُ: الأمارَةُ اللّازِمَةُ لِلشَّيءِ، كما يُقالُ وَزَنْتُهُ وَزْنًا، والزِّنَةُ: قَدْرُ الشَّيْءِ، يُقالُ: اتَّصَفَ الشَّيءُ في عَيْنِ النّاظِرِ: احْتَمَلَ أن يوصَفَ[2]، والوَصْفُ أيضًا: النَّعتُ، يُقالُ: وصَفَ الشَّيءَ يَصِفُهُ وصفًا وصِفَةً إذا نعَتَهُ بما فيه، والجمعُ: أوصافٌ، ويأتي الوَصفُ بمعنى: الحالَة والهيئة الَّتي يكون

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 281.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وصف).

عليها الشَّيء، كالجمال واللَّون، من قَولهم: وصَفَ الثَّوبُ الجِسمَ، أي: أظهَر هيئتَه وبيَّنه[1]، وحَقيقَةُ الوَصْفِ في الآيةِ: ذِكْرُ الصِّفاتِ والحُلَى، ثُمَّ أُطْلِقَ على القَولِ المُبينِ المُفَصِّلِ[2].

2) ﴿لِّتَفْتَرُواْ﴾: أصلُ الفَرْي: القَطْعُ والشَّقُّ، والإفْراءُ للإفساد، والافْتِراءُ فيهما، وفي الإفساد أكثر[3]، والفِرْيَةُ الكَذِبُ، فرَى كَذِبًا فرْيًا، وافْتَراهُ: اخْتَلَقَه، وفي التَّنْزيلِ العَزيز: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [يونس: 38]؛ أي اخْتَلَقَهُ[4]، قال السِّجستاني: "الافتراء: العَظيم من الكَذِب، يُقالُ لِمن عَمِل عملًا، فبالغ فيهِ إنَّه ليفري الفَري يَعْني ليقطع الأمر العجيب"[5]، والمُرادُ بالافتِراءِ في الآيةِ: الكَذِبُ الَّذي لا شُبْهَةَ لِلكاذِبِ فيهِ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

تُخاطِبُ الآيةُ الكُفّارَ الَّذينَ حرَّموا البحائر والسَّوائب[6]، والمعنى: "ولا تقولوا القَوْلَ الكَذِبَ لِما تَصِفُهُ ألسنتكم بالحِلِّ والحُرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالِصَةٌ لذكورنا ومُحَرَّمٌ على أزواجنا من غير استنادٍ في ذلك الوصف إلى وحْيٍ مِنَ اللّه تعالى أوْ قِياسٍ أوْ سَنَدٍ شرعي، لا تقولوا القول الكذب: حَلالٌ وهذا حَرامٌ.

الافـــتراءُ على شرع الله تعالى ديـدنُ المعتدين ومهارةُ الآثمين

ولا تُحَرِّموا ولا تُحَلِّلوا لأجل قَوْلٍ تنطق به ألسنتكم كذبًا وزورًا، ويجول في أفواهكم بلا حُجَّة ولا بيِّنة، إنَّ الَّذين يفترون على اللّه الكذب لا يفلحون أبدًا، وما تراهم فيه في الدُّنيا فعَرَضٌ زائل وعارية مستردَّة، ومتاع قليل، ولهم في الآخرة عذاب أليم جدًا يَصْغُرُ بجانبه كُلُّ متاع قليل في الدُّنيا"[7].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، والزبيدي، تاج العروس: (وصف).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 192.
(3) الراغب، المفردات: (فري).
(4) ابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (فري).
(5) السجستاني، غريب القرآن، ص: 103، والكفوي، الكليات، ص: 154.
(6) الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن: 3/ 445.
(7) حجازي، التفسير الواضح: 2/ 343.

التَّهَجُّم على الفتوى بالحلِّ والحُزْمة مِنَ الخطورة بمكان

يقول العلماء استنباطًا مِنْ هذه الآية الكريمة: "ما مِنْ قارئ يقرأ هذه الهداية إلّا امتنع عن الهجوم بقوله: حلالٌ وحرامٌ، إلّا إذا كان النَّص على التَّحريم من قرآن أوْ أحاديث النُّبوة، ولقد كان إبراهيم النَّخعي، وهو من أئمَّة فقه الرَّأي كان إذا وصل برأيه إلى حُكْم يفيد التَّحريم لا يقول: حرامٌ، ولكن يقول أكرَهُ، وإذا وصل بقياسه إلى حُكْم يُفيدُ الحِلَّ قال: ليس مِن بأس، أوْ أسْتَحْسِنُ هذا؛ مُتحرِّجًا أنْ يقول حرامًا أوْ حلالًا؛ لكي لا يكون مِمَّنْ دخلوا في حُكْمِ هذه الآية"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾:

صريحُ العبارات فيه إلماحٌ لخفيِّ المعاني

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾ استئنافيَّة[2]، أو عاطفة[3]، إذ "عاد الخطاب إلى المشركين بقرينة قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾، فالجملة معطوفة على جملة ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾، وفيه تعريضٌ بتحذير المسلمين؛ لِأنَّهُم كانوا قريبي عهدٍ بجاهليَّة، فرُبَّما بقيَت في نفوس بعضهم كراهيةُ أكل ما كانوا يتعفَّفون عن أكله في الجاهليَّة"[4]، وكَأنَّ هذا الخطاب من باب: إيّاكِ أعْني واسْمَعي يا جارَة.

غرضُ النَّهي:

كَشْفُ كذبِ المفترين على الله في التَّحليل والتَّحريم

في قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ﴾ "عُلِّق النَّهيُ بِقولهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، ولم يُعَلَّقْ بالأمر بأكل ما عدا ما حرَّم؛ لِأنَّ المقصود النَّهيُ عن جعل الحلال حرامًا والحرام حلالًا، لا أكل جميع الحلال وتَرْكَ جميع الحرام حتَّى في حال الاضْطِرارِ؛

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4293.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 408.
(3) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 178.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 310.

لأنَّ إمساكَ المرء عن أكل شيء لِكراهيةٍ أو عَيْفٍ[1] هو عملٌ قاصر على ذاته"[2].

والمعنى: "ولا تقولوا: هذه الميتة حلال، وهذه البَحيرة حرام، من أجل كذبكم، وإقدامكم على الوصف، والتَّخرُّصِ لِما لا أصل له"[3].

نكتة التَّعبير بالمضارع ﴿تَقُولُواْ﴾:

تَحريمُ الافتراء حالًا ومستقبلًا

التَّعبير بالمضارع المنفي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ﴾ يحذِّر المُخاطَبينَ من أصل ذلك القول الكاذب؛ لِأن النَّفي يَسلُب المضارعَ دلالة التَّجدُّد الكامنة فيه، كما يسلبه معنى الإثباتَ؛ فيؤول المعنى إلى وجوب دوامهم على امتثال تعاليم اللّه تعالى في الذَّبائح حِلًّا وحُرمةً، فالنَّهي لِأنْ يصدر عنهم قولٌ مفاده التَّحريم والتَّحليل من غير إذن اللّه تعالى، في الحاضر والمستقبل، وهذه دلالة التَّجدُّد في صيغة المضارعة.

معنى اللّامِ في قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾:

التَّخليلُ والتَّحريمُ نتيجةُ المُعْتَقَدِ الفاسِدِ الصّادِرِ عن اللّسان الجائر

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ إمّا أنْ تكون "لام سببٍ وأجْلٍ، كما يقال: فعلتُ هذا لكَ، أيْ لأجلك وبسَببك، والمعنى: ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ؛ أيْ إنَّكُم تُحلّون وتُحَرِّمون لأجل الكذب لا لغيره، فليس لِتَحْريمِكُم وتَحْليلِكُم معنًى وسببٌ إلّا الكَذِبُ فقط، فلا تفعلوا ذلك"[4].

أوْ أنْ تكون "إحدى اللّامين اللَّتين يتعدَّى بهما فِعلُ القول، وهي التي بمعنى (عَن) الدّاخلة على المُتحدَّث عنه، فهي كاللّام في قوله

(1) "عافَ الرجلُ الطعامَ أو الشراب يَعافُهُ عِيافًا، أي كرهه فلم يشربْه ...، وعافَتِ الطيرُ تَعيفُ عَيْفًا، إذا كانت تحوم على الماء أو على الجيَف وتتردَّد ولا تمضي"، يُنظر: الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم: (عيف).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 311.

(3) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/ 590.

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 13/ 221.

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [آل عمران: 168]، أيْ: قالوا عن إخوانهم، وليست هي لامُ التَّقوية الدّاخلة على المُخاطَبِ بالقول"[1].

"وكون (اللّام) للتَّعليل أرجح؛ لأنَّ النَّص على بطلان مصدر التَّشريع ﴿لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ أقوى مِن النَّص على كذب القول النّاشئ عن المصدر؛ لِأنَّ الطَّعن في الأساس أبلَغ مِن الطَّعن في الفرع، والأساس هو: ما تصفه الألْسُنُ من كون هذه سائبة أوْ بحيرة أوْ وصيلة، والفرع هو: القول بِأنَّ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ بناءً على ما سَبق مِن وصفٍ"[2].

معنى (ما) ودلالتها:

وصفُ اللّسان بغير الحقِّ طريق النِّيران

(ما) في قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ﴾ موصولة، أيْ: ولا تقولوا الكذب لِلَّذي تصفُه ألسنتُكم مِن البهائم بالحِلِّ والحرام[3]، أوْ "مصدريَّة، وهي مع مدخولها في محلِّ جرٍّ باللّام والجار، فيكون المعنى: ولا تقولوا هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لوصف ألْسِنَتِكُم الكَذِبَ، أيْ: لِتَعَوُّدِها عليه وجريانها به، أيْ: لا تُحَلِّلوا ولا تُحَرِّموا لأجل قولٍ تنطقُ به ألْسِنَتُكُم، وهو قولٌ مدفوعٌ لا تقوم به حُجَّة"[4].

براعةُ التَّعبير باختيار مُفردة الوصف:

أهلُ الباطلِ يصفون الكذب بأبهى الصّور ليَنطلي على الحمقى المُتابِعينَ

آثرَ نظمُ الآية مُفردة (وصف) في قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ دون لفظة (قول)، فلم يَقُلْ: (لما تقوله)؛ فوصْفُ ألسِنَتِهِمُ الكذبَ، يعني تمثيلَها إيّاه، وترجمتَها عنه، وتشخيصَه فيه، "وتصويرَها له بصورة مُسْتَحْسَنَةٍ، وتزيينَها له في المسامع كأنَّ ألْسِنَتَهُم لكونها منشأً للكذب ومنبعًا للزّور شخصٌ عالمٌ بِكُنْهِهِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 311.
(2) القدّومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 233.
(3) الهمذاني، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 4/ 151.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 380.

ومُحيطٌ بحقيقته، يصفه للنّاس ويُعَرِّفه أوضحَ وصفٍ وأبينَ تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية، كما يُقال: وجهُه يصفُ الجمالَ، وعينُه تَصِفُ السِّحْرَ"[1].

فـ"قوله تعالى: ﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ من فصيح الكلام وبليغه؛ كَأَنَّ ماهيَّةَ الكذب وحقيقتَه مجهولةٌ، وكلامُهم الكذب يكشف حقيقة الكذب، ويوضِّح ماهيته، وهذا مبالغ في وصف كلامهم بكونه كذبًا"[2]، وهو "تعبير عربيٌّ مُبينٌ للمُبالغة؛ جُعلت الألسنة لاسْتِساغَتِها الكذب وجريانه عليها، وتردُّده فيما تنطق به دائمًا كَأَنَّها تَصِفُه وتُجسِّده للسّامع، أوْ كَأَنَّ الكَذِب أمرٌ مجهول وعليهم تبيانه للنّاس، وكَشْف الغطاء عن خوافيه؛ فهو بهذا الاعتبار مجاز عقليٌّ"[3].

ويَحْتَمِلُ التَّعبير بالوصف معنى: "لا تقولوا ذلك وصفًا كذبًا؛ لِأَنَّهُ تَقَوُّلٌ لَم يَقله الَّذي له التَّحليل والتَّحريم وهو الله تعالى"[4]، و"أنَّ ما تقولونه يوحي مِن تِلقاء نفسه أنَّهُ كَذِب، فكلمة ﴿تَصِفُ﴾ وكلمة (تَصِفونَ) غلب في استعمالهما للكلام الَّذي يَحْمِلُ معه دليلَ كَذِبه"[5]؛ ففيه كناية عن صِفة.

نكتةُ التَّعبير بالمضارع ﴿تَصِفُ﴾:

المَقْصودُ بالفِعل ﴿تَصِفُ﴾ أيْ: تَذْكُرُ[6]، وتقولُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ[7]، وتدُلُّ صيغة المضارعة في الفِعل ﴿تَصِفُ﴾ على أنَّ ذلك الوصف الكاذب الَّذي يُحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، ويُحلِّلُ ما حرَّم الله تعالى

افـتراءُ الكـذب ديـدنُ الكـفّار ولحنُ الفجّار

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 147.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 282.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 381.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 311.
(5) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 11/ 7033.
(6) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 418.
(7) ابن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان: 2/ 475.

صار دَيدَنهم، يُرَدِّدونَهُ ويُصِرّونَ عليه، ولا يزالون به يُظْهِرونَ عداوَتَهم للشَّرع الحنيف، ففيه مزيدُ تَشْنيعٍ عليهم، وتهديدٍ لهم.

نكتة إسناد وصف الكذب إلى الألسن:

عندما يتولَّى الافتراءَ اللِّسانُ يُغيَّب منطق الأذهان

في إسناد وصف الكذب إلى الألسن في قوله تعالى: ﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مَزيدُ تَشْنيعٍ عليهم؛ إذ يُقرِّر الإسناد أنَّهُم يَعلمون في قرارة أنفُسهم أنَّهُم كاذبون، وأنَّ ذلك لا يُجاوز أَلْسِنَتَهُم إلى قلوبهم، وذلك على حدِّ قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 11].

كذلك في إسناد قول الكذب إلى أَلْسِنَتِهَم "زيادةٌ في بيان بَشاعة فِعلهم، فهؤلاء يَفترون الكذب على الله تعالى بأَلْسِنَتِهَم التي خلَقها الله كَيْ تَذْكُرَهُ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: 56]"[1].

نكتةُ جمع الألسنة:

جمع (الألسن) يُشيرُ إلى تواطؤ أهل الباطل

في جمع الألسنة في قوله تعالى: ﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ مبالغةٌ في تقبيح تحريمهم ما أحلَّ الله تعالى، وتَحْليلِهم ما حَرَّمَ الله تعالى؛ وذلك لِما في جمع الألسنة مِنَ التَّكثير، الَّذي يدلُّ على كثرة ضجيجهم في قضية الكذب على الله تعالى، ويدعم ذلك قراءة (الكُذُبُ) بالضَّمِّ وصفًا للألسنة نفسِها، وهي "جمع كذوب، وهي قراءة معاذ، وابن أبي عبلة، وبَعْضِ أهلِ الشّام"[2]، كما أنَّ جمع الألسن يدلُّ على تواطؤ أهلِ الباطل في هذا الصَّنيع، وأنَّ السّاكت عن القول مع الرِّضا به كقائله.

كما أنَّ جمع الألسنة هنا يحكي اعتماد المفترين على كثرة ضجيجهم، ومؤازرة بعضهم بعضًا في خِضَمِّ المغالطات الإعلاميَّة، التي تتَّخذ من ذلك منهج تشويش على التَّشريع الحقِّ.

(1) القدّومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 233.
(2) الأبياري، الموسوعة القرآنية: 5/ 373.

سرُّ إيثار لفظ الكذب دون ما يُقاربه:

الـكَـذِبُ صـادرٌ عـن عـقلٍ واعٍ، وقـلبٍ في المُنْكَرِ ساعٍ

في إيثار التَّعبير بالكذب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ تأكيد لعلمهم بكذبهم على الشَّرع الحنيف، وذلك بخلاف ما لو جاء التَّعبير بالكفر الذي قد يكون عن قناعة وعقيدة، وبخلاف الضَّلال الَّذي يقول أيضًا بِاخْتِلالٍ في الفكر وانْحِرافٍ في الاعتقاد.

أمّا لفظُ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾ الَّذي آثَرَ النَّظْمُ الكريم التَّعبير به عن وصفهم فيؤكِّد أنَّ عقيدتهم على خلافه، وأنَّهُم يكذبون لُمجرَّد الكذب، وأنَّهُم "يفترون على اللّه الكذب، أيْ يَقْطَعونَ به، وليس مُجَرَّدَ تكذيب في سياق التَّفكير والبحث عن الحقِّ"[1].

بلاغة تعريف ﴿ٱلْكَذِبَ﴾:

أعـظـمُ كـذبٍ عرَفته البشريَّة الـــكـــذبُ في التَّشريع

تَعْريفُ الكَذِبِ في قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ يدلُّ دلالة جليَّة على أنَّ هذا النَّوْعَ من الافتراء هو أقْبَحُ صوَرِ الكذب، وأشَدُّها جُرمًا في ميزان الشَّرع الحنيف، كيف لا؟ وهو كذبٌ في التَّشريع المُختصّ بالمشرِّع الأعلى ﷻ.

إنَّ الاجتراء على اقتحام التَّشريع بعامَّة، والتَّشريع في جانب التَّحليل والتَّحريم بخاصَّة تجرُّؤٌ على سُلطة شرعيَّةٍ تنزَّلتْ من السَّماء لإحكام حياة أهل الأرض، كما في زعمهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: 139]؛ فناسب جُرمَها تعريفُ ﴿ٱلْكَذِبَ﴾؛ ليُنبِّههم ذلك التَّعريف إلى أنَّ "تحليلكم وتحريمكم ليس له معنىً إلّا الكذب"[2]، وأنَّ "ما تصف ألْسِنَتُهُم إلّا كذبًا، ولا تقول إلّا زورًا وبهتانًا"[3] صُراحًا؛ مبالغةً في التَّشنيع على مَن يجرؤ أنْ يُحِلَّ ما حرَّم اللّه تعالى، أو يحرِّم ما أحلَّ اللّه ﷻ.

(1) القدّومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 233.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 2/ 591.
(3) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/ 387.

نُكتة حذف المشار إليه:

سِياقاتُ النَّظْمِ القرآني تُعالِجُ المقامات بدقَّة لافتة

طوى النَّظْمُ الكريم المشار إليه باسم الإشارة في قولهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ ما صرَّح به في سياقات أخرى مِن صور ما حرَّمه الكفّار وما أحلّوه مُخالفين فيه حُكْمَ الله تعالى؛ لِأنَّ الغَرَضَ هنا ليس تعديد المُحَرَّماتِ والمُحَلَّلاتِ التي خالفوا فيها شأن السّياقات الأخرى.

بل المَقامُ هنا مَقامُ مقابَلةٍ توجيهٍ إلى الحلال المُجْمَلِ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ بتَنْديدٍ مُجْمَلٍ لجرائم مُخالَفاتِهم ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، فاكتفى النَّظْمُ الكريم هنا بـ "اسم الإشارة حكايةً بالمعنى لأوصافهم أشياء بالحِلِّ وأشياء بالتَّحريم"[1].

واسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ أوْجَزُ عُنصرٍ لغويٍّ يَسْتَحْضِرُ أمام الأذهان ما اجترأوا على تحليله وتحريمه مخالفين فيه لحكم الله تعالى، ويطويه في أيسر لفظ؛ ليتفرَّغ ذهن المتلقّي للقضيَّة الأصل في السّياق، ولا يَنْشَغِلَ بتفاصيل أنواع المُحَرَّماتِ والمُحَلَّلاتِ المخالفات لشرع الله ﷻ.

فائدةُ تقسيم الكلام:

كـلُّ حـلالٍ أوْ حـرامٍ في غير الشَّـرع فهو كذبٌ

قول الله تعالى - حكايةً لمخالفات الكفّار -: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ الَّذي هو "بدلٌ من الكذب"[2]، وفيه يُحَقِّقُ النَّظْمُ الكريم التَّوازنَ بذِكر القسمين المُحتمَلَين: ﴿حَلَٰلٌ﴾ و﴿حَرَامٌ﴾ إجمالًا، وبإيجاز يُلائِمُ دِقَّة السّياق، وتركيزه على معالجة قضيَّة الكذب لا تفاصيل المكذوب فيه، فالكذب حاضرٌ في القسمين، الحلال والحرام.

معنى اللّام في: ﴿لِّتَفْتَرُواْ﴾:

علمنا أنَّ قوله تعالى: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ "مَقولُ قولهم، أيْ إنَّ قولهم عن مَطْعوماتِهم: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ هو قَوْلٌ كَذِبٌ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 311.
(2) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 239.

قالوه لينتهي بهم إلى الافتراء على الله تعالى؛ فاللّام في قوله تعالى: ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ هي لام العاقبة"[1]، فـ "تُحَلِّلونَ وتُحَرِّمون بِناءً على أهوائكم، فتكون النَّتيجة أنَّكُم تفترون على الله الكذب"[2].

مَآلُ الكَذِبِ على الله تعالى افْتِراءٌ وبُهْتانٌ

و"لا يَتَضَمَّنُ حَرْفُ اللّام معنى الغَرَض؛ لأنَّ ما صدر عنهم من تحليلٍ وتحريم دون أنْ يأذن به الله تعالى ليس الغرضُ منه افتراءَ الكذب فحسب، بل هناك أغراض أخرى كظهورهم بمظهر أولي العِلْم، وكَحُبِّهم للتَّباهي والتَّفاخر"[3].

نكتة ذِكر افتراء الكذب دون الكذب مباشرة:

الافْتِراءُ هو الاخْتِلاقُ الَّذي لا رصيد له من واقع يُصَدِّقه، وهو "أشنع أنواع الكذب"[4]؛ فالتَّعبير به يُقَرِّرُ أنَّ هؤلاء يدَّعون ادِّعاءً لا دليل عليه، ولا وجود له، وأنَّهُم متقوِّلون بالفِرَى على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ، وعلى الكتاب المجيد، وقد جُعل الكذب مفعولًا للافتراء، وأوقِع الافتراء عليه، وذُكِر الكذب والافتراء في الآية الكريمة ﴿تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ خمس مرّات، و"أُكِّد فيها فعلُ الافتراء بمفعوله الَّذي هو بمعنى المفعول المُطلَق؛ لكونه آئلًا إليه المعنى"[5]؛ فتَكاثَفَتْ أسْبابُ الذَّمِّ على هؤلاء الكاذبين المجترئين على شرع الله تعالى؛ موازاة لِقُبح اجترائهم.

الافْــتِراءُ بيانٌ لمنهج التَّخطيط للكذب، ومَكْرُ الكيد في إقناع العوام

وليس قوله قبله: ﴿تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾ "بِتِكْرارٍ مع قوله: ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾؛ لأنَّ هذا لإثبات الكذب مطلقًا، وذلك لإثبات الكذب على الله تعالى؛ فهو إشارة إلى أنَّهُم لتمرُّنهم

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/ 387.
(2) القدّومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 233.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 252.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 252.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 290.

على الكذب، اجترأوا على الكذب على الله ﷻ، فنسبوا ما حَلَّلوهُ وحَرَّموهُ إليه"[1].

فائدة تقديم الجار والمجرور على المفعول:

قَدَّم النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ على المفعول ﴿ٱلْكَذِبَ﴾؛ فقرَّر للحُكم على افتراء الكذب ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ خصوصًا جُرْمًا إلى أصل جُرمه عمومًا.

بلاغةُ الحذف بدلالة حرف الاستعلاء:

الاستعلاءُ على شرعِ الله تعالى غايةُ الكفر وصدارة القُبح

اسْتُعْمِلَ حرفُ الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في جملة ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ للإشارةِ إلى التَّآزر مع بقيَّة عناصر التَّركيب على بيان فداحة الإثم الَّذي يُقارِفُهُ هؤلاء المجترؤون بتحليلهم وتحريمهم خلاف ما حَكم به الله تعالى.

ذلك أنَّ حرف الاستعلاء يَحْتَفِظُ بدلالة العُلوِّ، فالتَّعبير به في قوله تعالى: ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ صريح في الدِّلالة على أنَّ المجترئ على مُضادَّة حُكم الله تعالى مُسْتَعْلٍ بمخالفته على حُكم الله ﷻ؛ فهو اسْتِعْلاءٌ مَجازيٌّ، على تقدير محذوفٍ، أيْ: على حُكم الله تعالى، أوْ على شرع الله تعالى، ونكتةُ الحذف بيانُ بشاعة هذا الافتراء، وقُبح هذا الاستعلاء، وأنَّه استعلاءٌ ناشزٌ عن سلوك الأسوياء.

توجيه جملة ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾:

التَّخْييلُ والتَّحْريمُ بغير إذن الله افتراءٌ عليه كذبًا

قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ "ليس فيه بيان كذب على الله تعالى، فأعاد قوله ﷻ: ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ ليَحْصُلَ فيه هذا البيان الزّائد، ونظائره في القرآن كثيرة، وهو أنَّهُ تعالى يَذْكُرُ كلامًا ثُمَّ يُعيدُهُ بعينه مع فائدةٍ زائدة"[2]، فجملة: ﴿لِّتَفْتَرُواْ عَلَى

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 6/ 418.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 282.

ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ بدل من قوله تعالى: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ لِأنَّ وصفهم الكذب هو افتراء على الله سبحانه، ففُسِّر ذلك الوصف والكذب بالافتراء على الله"[1].

ولقد تساءل العلماء: "إنْ قيل: كيف سَمّاهُم مفترين على الله بِتَسْمِيَتِهِمُ الحَرامَ حلالًا، والحَلالَ حرامًا؟ قيل: لِأنَّ التَّحليل والتَّحريم، والأمر والنَّهي ربوبيَّة، فإذا حرَّموا شيئًا أحلَّه الله، أو أحلّوا شيئًا حرَّمه الله فكَأنَّهُم على الله افترَوا أنَّهُ حرَّم أو أحلَّ، أو حرَّموا هم وأحلّوا، فأضافوا ذلك إلى الله أنَّهُ هو الَّذي حرَّم أو أحلَّ، فقد افتروا على الله؛ لِأنَّ مَن أحَلَّ شيئًا حرَّمه الله، أو حرَّم شيئًا أحلَّه الله – فقد كفَر، وليس من انتفع بالمحرَّم أو ترك الانتفاع بالمحلَّل – قد كفَر؛ إنَّما يصير آثمًا مجرمًا، وكذلك تارك الأمر ومرتكب النَّهي"[2].

عِلَّةُ فصْلِ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ﴾:

"جملة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ﴾ مُسْتَأْنَفَةٌ، مَسوقةٌ لتعليل ما قبلها"[3]، أيْ: لا تقولوا ذلك الكلام الكاذب من تحريف أحكام الأنْعام؛ لِأنَّهُ يؤدّي بكم إلى الخسران المُبين، ولا يوصِّلكم إلى الفلاح الَّذي تطلبونه به.

بلاغة الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

التَفَتَ النَّظْمُ الكريم من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ إلى أُسْلوبِ الغَيْبَةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾؛ وذلك للانصراف عن الكافرين

الـــذي يـفـتـري الـكـــذب عـلـى الـلـــه لـيـس أهـــلًا لِـشـريـف الخطاب

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 13/ 223.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 587.
(3) الهروي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: 15/ 409.

جملةً، تقبيحًا لهم وإهانةً لسلوكهم؛ ولتقرير قاعدة فيها بيان المفترين على الله الكذب في الآخرة.

سرُّ التَّعبير بالاسم الموصول الجمعيّ:

﴿ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ﴾ "هم المشركون الَّذين حرَّموا أشياء"[1] لم يُحَرِّمها الله تعالى، وقد عبَّر عنهم هنا بالاسم الموصول "للدّلالة على أنَّ الصِّلة ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ هي السَّبب في عدم الفوز"[2]؛ فالذي رجَّح استعمال الموصول على غيره من أدوات التَّعريف أنَّهُ يُتيحُ ذِكْرَ جملة الصِّلة، التي تنصُّ صراحةً على سبب خسرانهم، وعدم فوزهم.

التَّشهيرُ بالمفترين بصلةٍ لا تنقطع عنهم إلى يوم الدِّين

وإلى ذلك فإنَّ الاسم الموصول يُعَرِّفُ بالمشركين بهذه الصِّلة، فيَجْعَلُها عليهم سِمَةً؛ فإنَّهُم ﴿يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾، وكذلك في الاسم الموصول إيماءٌ إلى وجه بناء الخبر ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾؛ فما داموا ﴿يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾، فإنَّ الخبر عنهم سيكون من وادي ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾، وبهذا يُحَقِّقُ الاسم الموصول تواثقًا للكلام ورَبْطَ أوَّلِهِ بآخره.

نكتة التَّعبير بالمضارع ﴿يَفۡتَرُونَ﴾:

آثَرَ النَّظْمُ الكريم صيغة المضارعة ﴿يَفۡتَرُونَ﴾ للإيحاء بأنَّ هؤلاء المجترئين على دين الله تعالى يُجَدِّدونَ افتراء كذبٍ على الله تعالى بعد افتراء، لا تواتيهم فُرْصَةُ افْتِراءٍ إلّا اقتنصوها، فلا يَمنَعُهُم تأدُّبٌ مع الله تعالى، ولا يُنَبِّهُهُم تَطاوُلُ الزَّمن بهم إلى خطئهم، فيَرْتَدِعوا.

مَنِ اسْتَطالَ في الافتراء أطالَ في الاسْتِمراءِ

فائدة تقديم الجارِّ والمجرور في ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾:

تقديم الجارِّ والمجرور ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ في الجملة المؤكِّدة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾: يُلْفِتُ بقوَّة إلى خطورة تلك الجراءة، ويُبَشِّع في النُّفوس افتراء الكذب ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾ تعالى خصوصًا، ويهدِّد فاعله بارتكابه جُرْمًا إلى أصل جُرم الكذب المعلوم.

افْتِراءُ الكَذِبِ على اللهِ خصوصًا يُفاقِمُ جُرْمَ الافْتراء عمومًا

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 311.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4292.

توجيه تخصيص نفي الفلاح بالذِّكر:

غَـرَضُ المفترين دنـيـا فـانـيـة فـجـزاؤهـم نـارٌ باقِيَةٌ

الفلاح هو "الظَّفَر بما يُؤَمَّل"[1]، فمعنى ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ "أيْ: لا يَخْلُدون في الدُّنيا، ولا يَبْقَون فيها"[2]، و"لا يفوزون بمحبوبٍ، ولا يَنْجوْنَ من مكروه"[3]، "ولا يفلحون في الوصول إلى مأمول"[4]، فتلك كلها رغائبهم قد ضلَّت السَّبيل إليهم، وضلّوا السَّبيل إليها.

وقد نَفَتْها الآية الكريمة عنهم، ولم تَنْفِ الإيمان أو الإسلام؛ وذلك لِأَنَّهُم إنَّما ارتكبوا مخالفة شرع الله تعالى تحليلًا وتحريمًا، بغرض الظَّفَر بِذلك النَّفْعِ العاجل في الدُّنيا، لا بِغرض تحصيل الإسلام أو الفوز بالإيمان الأبقى نفعًا في الآخرة، فصَرَّحَ النَّظْمُ الكريم بِأَنَّهُم "لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراءَ للفوز بها"[5] في الدُّنيا، وإلى ذلك "لا يَنْجوْنَ من العذاب"[6] في الآخرة.

غرض التَّأكيد بالجملة الاسميَّة:

خـــســـران المجترئين نتيجة حتميَّة وإنْ بقي منهم بقيَّة

أكَّد ﷻ عدم فوز المفترين بالجملة الاسميَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾، و﴿إِنَّ﴾ المؤكِّدة، وبَيَّنَ سبحانه في تأكيد عدم فوزهم أنَّهُم يَحْسَبونَ بَريق الحياة ومتاعها هو المتاع، وبَيَّنَ الله تعالى أنَّ متاعها قليل؛ لِأَنَّهُ في ذاته قَليلٌ، وزمانُه قَليلٌ، ومتاعُ الآخرة هو الأبقى، ومَن طلَب متاع الدُّنيا بِغير الحَقِّ فالآخرة تكون له عذابًا أليمًا"[7].

علة فصل ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ عَمّا قبله:

المتاعُ القليل يَغُرُّ صاحبَ العقل القليل

جملة ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ إمّا أنْ تكون ابتدائية، وفُصلت عَمّا قبلها

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/ 608.
(2) ابن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 6/ 4108.
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 694.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 253.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 148.
(6) السمرقندي، بحر العلوم: 2/ 295.
(7) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4292.

لِأنَّها "تعليلٌ لِنفي الفلاح عن ﴿ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ فإنَّهُم بافترائهم الكذب، قد خسروا خسرانا مبينا؛ ذلك أنَّ هذا الَّذي عاد عليهم مِن كذبهم وافترائهم، هو شيءٌ تافِه، اسْتَرْضَوا به أهواءهم في هذه الحياة الدُّنيا؛ فأوقعهم في هذا الَّذي هم فيه من عدوان على حُرُماتِ الله ﷻ، وعصيان لله تعالى وشرك به، وذلك هو الخسران المُبين"[1].

وإمّا أنْ تكون استئنافًا بيانيًّا؛ حيث إنَّها في صورة جواب عَمّا يجيش بخاطر سائل يسأل عن عدم فلاحهم مع مشاهدة كثيرٍ منهم في حالة من الفلاح، فأُجيبَ بِأنَّ ذلك متاع، أيْ: نَفْعٌ مؤقَّت زائل، ولهم بعده عذاب أليم[2].

غرض تنكير ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾:

متاعُ الدُّنيا قليلٌ حقيرٌ

تَنْكيرُ ﴿مَتَٰعٞ﴾ يوحي بتحقيره، ويؤكِّد "قِلَّتَهُ في ذاته، وقِلَّتَهُ في زمانه، وهو بجوار الكذب الَّذي يكذبونه لا يُعَدُّ متاعًا؛ لِأنَّ المتاع ما يقوم على متاع النَّفْس، والنَّفْس الكذوب تكون في اضطراب مُسْتَمِرٍّ، ولا تَملِكُ نَفْسَها كما لا تَنْضَبِطُ في ذاتها، ودَأْبُها على الكذب يُؤدّي إلى ضلال الفكر فيها حتَّى يصيبها خرف الكذب وفساده"[3].

بلاغة وصف المتاع بالقليل:

المتاع القليلُ ليس بمتاع بل هو نُهمة الجياع

وُصف ﴿مَتَٰعٞ﴾ بصفة ﴿قَلِيلٞ﴾ لوجوه:

أحدها: أنَّ متاع الدُّنيا مبنيٌّ على الزَّوال والانقطاع؛ فكلُّ ما كان على شرف الزَّوال والانقطاع، فهو قليل، كَما قيلَ في المَثَلِ: كُلُّ ما هوَ آتٍ قَريبٌ.

الثاني: سُمّيَ قليلًا لِما هو مَشوبٌ بالآفات والأحزان وأنواع البلايا

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 7/ 387.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 312.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4292.

والشَّدائد؛ فهو قليل في الحقيقة؛ أوْ أنَّهُ سمّاه قليلًا؛ لِما أنَّ متاع الدُّنيا قليل عَمّا وُعِد في الآخرة[1].

دلالة الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

المقابلةُ بين متاع الدُّنيا الفاني وألـم العذاب الباقي

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عَطَفَتْ خبرًا على خبر، أيْ ذلك المتاع الَّذي يبحث عنه المفترون هو متاع قليل، ولهم في الآخرة عذاب أليم، فدلَّت على المقابلة بين ما يكون لهم في الدُّنيا من المتاع القليل، الَّذي يرجون به السَّعادة، وبين ما يكون لهم في الآخرة من العذاب الأليم الَّذي يُذهب عنهم كلَّ متعةٍ في الدُّنيا.

نكتةُ تقديم الجارِّ والمجرور:

قدَّم النَّظْمُ الكريم الجارَّ والمجرور ﴿وَلَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ للتَّهديد على سبيل التَّهكم؛ لِأنَّ مَنْ يُخْبِرُ بأنَّه سيكون (له) يكون عطاءً، أمّا هنا فسيكون عذابًا لهؤلاء المفترين، و"للاهتمام؛ زيادةً في التَّحذير، وجيءَ بلام الاستحقاق في ﴿وَلَهُمْ﴾ للتَّنبيه على أنَّ العذاب حقُّهم لأجل افترائهم"[2].

سرُّ تقييد العذاب بـ ﴿وَلَهُمْ﴾ دون المتاع:

العذاب الأليم لمن يستحقّه، والمتاع القليل لمن يرجوه

"جاء التَّعْبيرُ عن العذاب بـ ﴿وَلَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، بينما لَم يَأْتِ التَّعْبيرُ مع المتاع بـ ﴿وَلَهُمْ﴾؛ لِأنَّهُم مستَحِقّون للعذاب بِسبب افترائهم؛ ولذا جاء التَّعْبيرُ بِما يدلُّ على استحقاقهم العذاب ﴿وَلَهُمْ﴾، بينما هم ليسوا مُسْتَحِقّينَ للمتاع القليل في الدُّنيا؛ ولذا لم يَنُصَّ على ما يدلُّ على استحقاقهم لهذا المتاع، وإنَّما قَدَّرَ الكَلامَ بـ(معيشتهم) أو (حياتهم) تَمَشّيًا مع هذه الدِّلالة"[3].

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 588.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 312.
(3) القدّومي، التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني، ص: 235.

غرضُ تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

جاء وعيد مَن يفتري على الله تعالى الكذب بلفظ ﴿عَذَابٌ﴾ منكَّرًا؛ تهويلًا لخطره، وإيحاءً بِأَنَّهُ ﴿عَذَابٌ﴾ مَنْكورٌ لا يُحاط بوصفه ثقلًا وشِدَّة، فهو ﴿عَذَابٌ﴾ "دائم ليس له وقت محدود"[1].

دلالَةُ وصْفِ العَذابِ بـ ﴿أَلِيمٌ﴾ دون (مُؤْلِمٍ):

عَـذابُ الكُفّارِ في الآخـرة من الفظاعة بحيث لا يـحـيـط به الوَصْفُ

صيغَ وصْفُ ﴿عَذَابٌ﴾ بـ ﴿أَلِيمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ صيغةَ مبالغةٍ، وهو بمعنى (مُؤْلِم)، غير أنَّ وصف ﴿أَلِيمٌ﴾ أدخلُ في الإيلام، وأدلُّ على شدَّتِه بِحيث لا يُحتمَل، أمّا (مُؤْلِمٌ) فيُطلَق على كلِّ أَلَمٍ قد يُحتمَل وقد لا يُحْتَمَلُ، ولن تبلغ صيغة اسم الفاعل (مُؤْلِمٌ) مبلغ صيغة المبالغة ﴿أَلِيمٌ﴾ في التَّرجمة عن هول عذاب مَن يَكْذِبُ في تشريع الله ﷻ وفظاعته.

وإلى ذلك في وصف ﴿أَلِيمٌ﴾ حرفُ مدٍّ يُشعر بِأَنَّهُ عَذابٌ يَتطاول إيلامه على الكافر، ويمتدُّ عليه ولا ينقطع عنه، أمّا (مُؤْلِمٌ) فاللَّفظ مقطوع قطعًا، قد يوحي بانتهاء إيلامه إلى أمدٍ محدَّد، وهكذا تتآزرُ الصّيغةُ الصَّرفية مع الإشارة الصَّوتيَّة على بيان ما سيلقاه الكافر من عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ متطاول"[2].

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/ 4293.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 289.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»